«لولا» في القرآن الكريم
آيات الإفك (١١-٢٠) من سورة «النور» أنموذجًا

إعداد: د. مريم الدويلة
قسم التفسير والحديث
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
جامعة الكويت

أبحاث

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص البحث:

يتناول هذا البحث جانبًا من جوانب الإعجاز البياني في القرآن الكريم، وهو بعنوان: «**(لولا) في القرآن الكريم، آيات الإفك (١١ – ٢٠) من سورة النور أنموذجًا**».

وقد عني البحث على إبراز دقة استعمال الحرف (لولا) في آيات الإفك، وتذوق مواقعه في النظم القرآني، ودلالته الدقيقة، وأثره في سياق آيات الإفك بما يكشف عن جانب من جوانب الإعجاز الذي ينتظم في القرآن كله.

هذا، وقد جمع منهج البحث بين المنهج التطبيقي التحليلي والمنهج الاستنباطي، حيث التأمل، والتدبر، والاستنتاج، والاستنباط.

وقد توصل البحث إلى عدد من النتائج أهمها: الصلة الوطيدة للحرف (لولا) لفهم الآداب والزواجر في آيات الإفك واستنباطها؛ لأن كثيرًا من القضايا الدلالية يتوقف فهمها على فهم الدلالة التي يؤديها الحرف من النص.

كما أبرزت دلالة (لولا) في آيات الإفك منهجا إسلاميا راقيا لمواجهة

الشائعات.

الكلمات المفتاحية: التفسير – الإعجاز البياني –حروف المعاني – لولا.

Abstract:

This research deals with an aspect of the rhetorical Inimitability of the Quran, entitled" "`If not (Lawla)" in the Holy Qur'an, Verses of Ifk (11-20) of Sura al-Nur as an example"

The research focused on highlighting the accuracy of the use of the character "if not- Lwla" in Verses of Ifk, relish its places and precise significance in Holy Quran and its impact in the context of the verses, which reveals an aspect of the rhetorical Inimitability which exists in Whole Quran.

This research combined the applied analytical and deductive methodology, where the contemplation, Meditation, deduction and conclusion.

The research has concluded a number of results, the most important of which are: the close relevance of the character "if not- Lwla" with the understanding and deduction of checks and ethics in Verses of Ifk, because many indicative issues depend on understanding the meaning of the letter in the text

Lawla indications in the Verses of Ifk also showed a sophisticated Islamic approach to countering rumors.

Keywords: Tafsir - rhetorical Inimitability- meaning characters- If not (Lawla).

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فهذا البحث بعنوان: «(لولا) في القرآن الكريم- آيات الإفك (١١- ٢٠) من سورة «النور» أنموذجًا».

أهمية الموضوع:

دقة القرآن الكريم في استعمال حروفه وألفاظه، فلا يأتي حرف ولا لفظ إلا في مكانه الذي يستخدمه دون غيره، **ومن ذلك تكرر الحرف (لولا) في آيات الإفك من سورة النور**، والذي ينم عن نظمه المعجز وبلاغته الفائقة التي بعجز

عن الإتيان بمثله جميع البشر.

إشكالية البحث:

يقف المتدبر في كتاب الله في بعض الأحيان عند قراءة آيات من القرآن الكريم على تكرر حرف دون غيره، وعليه يتفرع من هذه الإشكالية ثلاثة أسئلة أساسية:

١- ما وجه تكرار الحرف دون غيره بهذا النسق التعبيري اللافت؟

٢- هل لهذا التكرار علاقة ما بمحور السورة وغاياتها ومعانيها؟

٣- ما وجه الترابط بين الحرف وألفاظ الآية؟

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى تحقيق الآتي:

١- التعرف على معنى (لولا) في القرآن الكريم.

٢- إدراك أهمية معرفة دلالة (لولا) في آيات الإفك.

٣- تحديد نقاط عملية يمكن الاستفادة منها في بحوث متقدمة من طرف الباحثين والدارسين.

الدراسات السابقة وما يضيفه البحث إليها:

بعد البحث والسؤال لم يظهر لي أن أحدًا قد كتب في هذا الموضوع بالصورة التي كتبت فيها، إلا أن هناك دراسةً باسم «(لولا) في القرآن الكريم- دراسة بلاغية»، للدكتور: شعيب يحيى.

عرض فيها آراء أهل النحو حول ورود (لولا) في لغة العرب، ومعانيها عندهم، ثم تطرق بعد ذلك للمعاني التي انتقاها القرآن دون الأخرى مع إحصاء دلالات كل معنى والتمثيل له.

ما يضيفه البحث:

تتمثل الإضافة الجديدة بإظهار الصلة الوطيدة للحرف (لولا) لفهم الآداب والزواجر في آيات الإفك واستنباطها.

حدود البحث:

تركز محور البحث على دراسة أثر دلالة (لولا) في سياق آيات الإفك في
سورة النور، وهي قوله -تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ
هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ ۚ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَا إِذْ
سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَٰذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ
شُهَدَاءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا
لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ
بِهَٰذَا سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ
اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ
وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾ [النور: ١١-٢٠].

منهج البحث:

يجمع البحث بين المنهج التطبيقي التحليلي، والمنهج الاستنباطي؛ للكشف عن جماليات ودلالات (لولا) في نظم آيات الإفك، وحسن ترتيبها في السورة، بحيث يبدو النص متناسقا ومترابطا في تحقيق هدفه وغايته في التأثير والإقناع.

خطة البحث

جاء هذا البحث محتويًا على:

المقدمة

تمهيد

المبحث الأول: حادثة الإفك كما وردت في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: دلالات لولا في آيات حادثة الإفك

الخاتمة: تتضمن التوصيات والنتائج.

فهرس المصادر والمراجع.

التمهيد

أولا: «لولا» في القرآن الكريم:

وردت «لولا» في القرآن بوجهين(١)(٢):

الأول: حرف امتناع لوجوب، يلزم في خبرها الحذف، ويستغني بجوابها عن الخبر، والأكثر في جوابها المثبت اللام، نحو: ﴿لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ [سبأ: ٣١]، ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ [الصافات:١٤٣، ١٤٤]. وقد يحذف للعلم به، كقوله -تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [النور: ١٠].

وأما جوابها إذا كان منفيًّا فجاء القرآن بالحذف، نحو: ﴿مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ [النور: ٢١].

الثاني: التحضيض، وهو طلب الفعل بحثٍّ وقوةٍ(٣)، فتختص بالمضارع، نحو: ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ﴾[النمل: ٤٦].

والتوبيخ والتنديم، فتختص بالماضي، نحو: ﴿لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ﴾ [النور: ١٣].

وفي كل من القسمين تختص بالفعل؛ لأن التحضيض والتوبيخ لا يردان إلا على الفعل. هذا هو الأصل.

وقد جوزوا فيها إذا وقع الماضي بعدها أن يكون تحضيضًا أيضًا، وهو حينئذ يكون قرينة صارفة للماضي عن المضي إلى الاستقبال، فقالوا في قوله -تعالى:

---

(١) انظر: الجني الداني في حروف المعاني (١/ ٥٩٧- ٦٠٥)، والبرهان في علوم القرآن (ص ١١٥٥).

(٢) وجوز البعض أن «لولا» لها وجه ثالث ورابع في القرآن. وقد ردَّ ذلك الزركشي، وعلق عليه. انظر تفصيل ذلك في البرهان في علوم القرآن(ص ١١٥٥).

(٣) انظر: مغني اللبيب، ص ٩٧، والتحرير والتنوير (١١/٢٨٨).

﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ﴾ [التوبة:١٢٢]: «يجوز بقاء ﴿نفر﴾ على معناه في المضي؛ فيكون «لولا» توبيخًا، ويجوز أن يراد به الاستقبال؛ فيكون تحضيضًا».

قالوا: «وقد تفصل من الفعل بـ(إذ) و(إذا) معمولين له، وبجملة شرطية معترضة.

فالأول: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم﴾ [النور:١٦]، ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ﴾ [الأنعام:٤٣].

والثاني والثالث، نحو: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ۝٨٣ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ۝٨٤ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ۝٨٥ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ۝٨٦ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٨٧﴾ [الواقعة: ٨٣- ٨٧]، المعنى: فهلا ترجعون الروح إذا بلغت الحلقوم إن كنتم مؤمنين، وحالتكم أنكم شاهدون ذلك، ونحن أقرب إلى المحتضر منكم بعلمنا، أو بالملائكة، ولكنكم لا تشاهدون ذلك، و«لولا» الثانية، تكرار للأولى»(١).

نتبين مما سبق: أن «لولا» وردت في القرآن بوجهين:

أولًا: لولا الداخلة على اسم، والمسماة الامتناعية.

ثانيا: لولا الداخلة على فعل، والمسماة التحضيضية أو التوبيخية.

ثانيا: تعريف الإفك لغة واصطلاحًا:

الإفك لغة: يقول ابن فارس: «أَفَكَ: الهمزة والفاء والكاف أصل واحد، يدل على قلب الشيء وصرفه عن جهته، يقال: أُفِكَ الشيءُ، وَأَفِكَ الرجلُ: إذا كَذَب، والإِفْكُ: الكذبُ، وَأَفَكْتُ الرجلَ عن الشي: إذا صرفتُه عنه. قال الله –

(١) البرهان في علوم القرآن (ص ١١٥٥، ١١٥٦).

تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا﴾ [الأحقاف:٢٢]»(١).

نتبين مما سبق: أن لفظ الإفك يتضمن ثلاثة معانيَ، هي: القلب، والصرف، والكذب.

الإفك اصطلاحًا: «هو الكذب الفاحش القبح، مثل: الكذب على الله -تعالى- ورسوله ﷺ أو على القرآن، ومنه قذف المحصنة، وغير ذلك مما يفحش قبحه»(٢).

---

(١) معجم مقاييس اللغة (١/١١٨).

(٢) الفروق اللغوية (ص:٤٥).

المبحث الأول

حادثة الإفك كما وردت في القرآن الكريم

وينقسم إلى أربعة مطالب:

المطلب الأول: سبب نزول آيات الإفك:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا
ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ
بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ
فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ
أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ
هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ
عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ
عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا
وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ
رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾ [النور: ١١-٢٠].

يقول ابن كثير: «هذه العشر آيات كُلُها نزلَت في شأنِ عائشة أم المؤمنين –رضي الله عنها– حينَ رمَاها أهلُ الإفكِ والبُهتانِ منَ المنافقينَ بمَا قالوهُ من الكذبِ البَحتِ والفريةِ التي غار الله –تعالى– لها ولنبيه –صلوات الله وسلامه عليه، فأنزل الله –عز وجل– براءتها؛ صِيانةً لِعِرضِ الرَّسول –عليه أفضل الصلاة والسلام»(١).

هذا، وقصة الإفك مذكورة في كتب الصحاح(٢).

"وحاصلها أن النبي ﷺ في بعض غزواته ومعه زوجته عائشة الصديقة بنت الصديق انقطع عقدها، فانحبست في طلبه، وحملوا هودجها على جملها، فلم يطلبوها، ثم استقل الجيش راحلا، وجاءت مكانهم، وعلمت أنهم إذا فقدوها رجعوا

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٦/ ١٩).

(٢) انظر: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب: حديث الإفك (٨/١٩٧)، ح٤١٤١.

إليها، فاستمروا في سيرهم، وكان صفوان بن المعطل السلمي من أفاضل الصحابة -رضي الله عنه، فقد عرس في أخريات القوم، ولما رأى عائشة -رضي الله عنها، فعرفها، فأناخ راحلتها، فركبتها من دون أن يكلمها أو تكلمه، ثم جاء يقود بها بعدما نزل الجيش في الظهيرة ، فلما رأى بعض المنافقين الذين في صحبة النبي ﷺ في ذلك السفر مجيء صفوان بها في هذه الحال، أشاع ما أشاع ووشى الحديث، وتلقفته الألسن، حتى اغتر بذلك بعض المؤمنين، وصاروا يتناقلوا هذا الكلام وانحبس الوحي مدة طويلة عن الرسول ﷺ وبلغ الخبر عائشة بعد ذلك بمدة؛ فحزنت حزنا شديدًا، فأنزل الله -تعالى- براءتها في هذه الآيات"(١).

المطلب الثاني: مناسبة الآيات لمحور السورة:

محور السورة يدور حول التربية الأخلاقية للفرد والمجتمع، فقد اشتملت السورة على كثير من الأحكام والحدود والآداب الملزمة.

من ذلك بيان: «حد الزاني، وعقاب الذين يقذفون المحصنات، وحكم اللعان، والزجر عن حب إشاعة الفواحش بين المؤمنين والمؤمنات، وأحكام الاستئذان في الدخول إلى بيوت الناس وغيرها»(٢).

هذا، وعند التأمل في آيات الإفك نجدها «تشكل أساس المحور الذي تقوم عليه هذه السورة، وهو التربية الأخلاقية للفرد والمجتمع؛ وذلك لأن منهج الإسلام في تربيته الأخلاقية للأسرة والمجتمع، يقوم على أساس طهارة الحياة الزوجية من كل مظاهر الانحراف، خاصة الزنا، سواء حدث الانحراف فعلًا من أحد الزوجين، أو تعرض أحدهما للقذف، فهذا كله يساعد على نشر الفاحشة في المجتمع، والأسرة هي اللبنة الأولى في بناء المجتمع، فبصلاحها يصلح، وبفسادها يفسد»(٣).

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص٥٦٦.

(٢) التحرير والتنوير (١٤١/١٨)، باختصار.

(٣) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم (٥/ ١٩٩).

المطلب الثالث: مناسبة آيات الإفك لما قبلها وما بعدها:

أولاً: مناسبة آيات الإفك لما قبلها:

"أن الله -سبحانه وتعالى- لما "ذكر حكم مَن قذف الأجنبيات، وحكم مَن قذف الزوجات؛ ذكر في هذه الآيات العشر براءة عائشة أم المؤمنين مما رماها به أهل الإفك والبهتان من المنافقين؛ صيانة لعرض رسول الله ﷺ"(١).

ثانيًا: مناسبة آيات الإفك لما بعدها:

قال -تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ...﴾ [النور: ٢١].

يقول ابن عاشور مبينًا المناسبة: «هَذِهِ الْآيَةُ نَزَلَتْ بَعْدَ الْعَشْرِ الآيَاتِ الْمُتَقَدِّمَةِ، فَالْجُمْلَةُ اسْتِئْنَافٌ ابْتِدَائِيٌّ، وَوُقُوعُهُ عَقِبَ الآيَاتِ الْعَشْرِ الَّتِي فِي قَضِيَّةِ الإِفْكِ مُشِيرٌ إِلَى أَنَّ مَا تَضَمَّنَتْهُ تِلْكَ الآيَاتُ مِنَ الْمَنَاهِي وَظُنُونِ السُّوءِ وَمَحَبَّةِ شُيُوعِ الْفَاحِشَةِ كُلُّهُ مِنْ وَسَاوِسِ الشَّيْطَانِ، فَشَبَّهَ حَالَ فَاعِلِهَا فِي كَوْنِهِ مُتَلَبِّسًا بِوَسْوَسَةِ الشَّيْطَانِ بِهَيْئَةِ الشَّيْطَانِ يَمْشِي، وَالْعَامِلُ بِأَمْرِهِ يَتَّبِعُ خُطَى ذَلِكَ الشَّيْطَانِ»(٢).

المطلب الرابع: حادثة الإفك كما وردت في القرآن الكريم:

قال -تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١١﴾ [النور: ١١].

- **قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡ﴾**: "أجمع المسلمون على أن المراد بما في الآية ما وقع من الإفك على عائشة أم المؤمنين، وإنما وصفه الله بأنه إفك؛ لأن المعروف من حالها -رضي الله عنها(٣)- خلاف ذلك.

"قال الواحدي: ومعنى القلب في هذه الحديث الذي جاء به أولئك النفر أن

(١) تفسير المراغي(١٨/٧٨).

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور (١٨/١٨٦).

(٣) فتح القدير، للشوكاني (٤/١٣).

عائشة -رضي الله عنها- كانت تستحق الثناء بما كانت عليه من الحصافة وشرف النسب والسبب لا القذف، فالذين رموها بالسوء قلبوا الأمر عن وجهه، فهو إفك قبيح وكذب ظاهر"(١).

"فاللام للعهد، ويجوز حمله على الجنس. قيل: فيفيد القصر، كأنه لا إفك إلا هو، وفي لفظ (المجيء) إشارة إلى أنهم أظهروه من عند أنفسهم من غير أن يكون له أصل"(٢).

﴿عُصۡبَةٞ﴾: «العصبة: الطائفة المجتمعة التي يشد بعضها بعضًا، وكأنهم جماعة يتآمرون فيما بينهم على قول الباطل وترويجه وإشاعته»(٣)، «وذكر (عصبة) تحقيرًا لهم؛ أي: لا يعبأ بقولهم في جانب تزكية جميع الأمة لمن رموها بالإفك»(٤).

«وفي ذلك تعريض بهم بأنهم حادوا عن خُلق الإسلام، حيث تصدوا لأذى المسلمين»(٥)،«ولما كان هذا مقتضيًا للاهتمام بشأنهم، اتبعه قوله؛ تحقيرًا لأمرهم»(٦).

- ﴿لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ﴾: «استئناف، خوطب به رسول الله ﷺ، وأبو بكر، وعائشة، وصفوان -رضي الله عنهم»(٧)، و«لكل من ساءه من المؤمنين تسلية لهم من أول الأمر»(٨)، «والضمير للإفك»(٩).

«وَبَعْدَ إِزَالَةِ خَاطِرِ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ شَرًّا لِلْمُؤْمِنِينَ أَثْبَتَ أَنَّهُ خَيْرٌ لَهُمْ، فَأَتَى

(١) التفسير البسيط، للواحدي (١٦/١٥١-١٥٢).
(٢) تفسير القاسمي، للقاسمي (٧/٣٣٦).
(٣) زهرة التفاسير، لأبي زهرة (١٠/ ٥١٥٤).
(٤) التحرير والتنوير (١٨/ ١٧١).
(٥) المصدر السابق.
(٦) نظم الدرر (٥/ ٢٩٣).
(٧) إرشاد العقل السليم (٤/ ٤٤٣).
(٨) المحرر الوجيز (٤/٢٠٥).
(٩) إرشاد العقل السليم (٤/ ٤٤٣).

بِالْإِضْرَابِ لِإِبْطَالِ أَنْ يَحْسَبُوهُ شَرًّا، وَإِثْبَاتِ أَنَّهُ خَيْرٌ لَهُمْ»[١].

يقول الزمخشري مبينا ذلك: «ومعنى كونه خيرًا لهم: أنهم اكتسبوا فيه الثواب العظيم؛ لأنه كان بلاء مبينًا ومحنة ظاهرة، وأنه نزلت فيه ثماني عشرة آية، كل واحدة منها مستقلة بما هو تعظيم لشأن رسول الله –صلى الله عليه وسلم، وتسلية له، وتنزيه لأم المؤمنين –رضوان الله عليها، وتطهير لأهل البيت، وتهويل لمن تكلم في ذلك أو سمع به، فلم تمجه أذناه، وعدة ألطاف للسامعين والتالين إلى يوم القيامة، وفوائد دينية، وأحكام وآداب لا تخفى على متأمليها»[٢].

«ولما كان لا شفاء لغيظ الإنسان أعظم من انتصار الملك الديان له علل ذلك بقوله: ﴿لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم﴾؛ أي: من الذين جاءوا بالإفك»،[٣] ﴿مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ﴾: "أي جزاء ما اكتسب، وذلك بقدر ما خاض فيه، فإن بعضهم تكلم، وبعضهم ضحك كالمعجب الراضي، وبعضهم أكثر، وبعضهم أقل"[٤].

﴿وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ﴾؛ أي: «والذي تحمل معظم ذلك الإثم والإفك منهم هو الذي بدأ بالخوض فيه»[٥]، وهو عبد الله بن أُبي بن سلول.

يقول الطبري: «لا خلاف بين أهل العلم والسير أن الذي بدأ بذكر الإفك، وكان يجمع أهله ويحدّثهم عبد الله بن أُبي بن سلول»[٦].

﴿لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾؛ أي: «أعظم من عذاب الباقين؛ لأنهم لم يقولوا شيئًا إلا كان عليه مثل وزره من غير أن ينقص من أوزارهم شيئًا»[٧].

«والوعيد بأن له عذابًا عظيمًا يقتضي أنه عبد الله بن أبي بن سلول، وفيه

---

(١) التحرير والتنوير (١٨/ ١٧٢).

(٢) الكشاف (٣/٢١٧– ٢١٨).

(٣) نظم الدرر (٥/ ٢٤٠).

(٤) روح المعاني(٩/٣١٢).

(٥) جامع البيان (١٧/ ١٩١).

(٦) المصدر السابق.

(٧) نظم الدرر (٥/ ٢٤٠).

إنباء بأنه يموت على الكفر؛ فيعذب العذاب العظيم في الآخرة، وهو عذاب الدرك الأسفل من النار، وأما بقية العصبة فلهم من الإثم بمقدار ذنبهم، ومنه إيماء بأن الله يتوب عليهم إن تابوا، كما هو الشأن في هذا الدين»(١).

نتبين مما سبق أن حادثة الإفك أظهرت خمسة أوجه للخير: «تبرئة أم المؤمنين، وكرامة الله لها بإنزال الوحي في شأنها، والأجر العظيم لها، وموعظة للمؤمنين، والتشديد على من قذفها»(٢).

هذا، و"لما ذكر القصة وذكر حال المقذوفين والقاذفين عقبها بما يليق بها من الآداب والزواجر"(٣)، وبيان ذلك في المبحث الثاني.

---

(١) التحرير والتنوير (١٨/ ١٧٣).

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/٨٤).

(٣) مفاتيح الغيب (٢٣/ ١٧٨).

المبحث الثاني

دلالات «لولا» في آيات حادثة الإفك

المطلب الأول: دلالة «لولا» وأثرها في سياق قوله -تعالى ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾﴾:

أولا: علاقة الآية بما قبلها:

«لما أخبر -سبحانه وتعالى- بعقابهم، وكان من المؤمنين من سمعه فسكت، وفيهم من سمعه فتحدث به متعجبًا من قائله، أو مستثبتًا في أمره، ومنهم من كذبه، أتبعه سبحانه بعتابهم في أسلوب خطابهم، مثنيًا على من كذبه، فقال مستأنفًا محرضًا: ﴿لَوْلَا﴾»[١].

ثانيا: الحض على حسن الظن بين المؤمنين والمؤمنات:

الآية: «تأديب من الله للمؤمنين في قضية عائشة -رضي الله عنها، حين أفاض بعضهم في ذلك الكلام السيء، وما ذكر من شأن الإفك، وقال: ﴿لولا﴾؛ بمعنى: (هلا) ﴿إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾؛ أي: ذلك الكلام؛ أي: الذي رميت به أم المؤمنين، ﴿ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾؛ أي: قاسوا ذلك الكلام على أنفسهم، فإن كان لا يليق بهم فأم المؤمنين أولى بالبراءة منه بطريق الأولى والأحرى»[٢].

هذا، «وتوسيط الظرف بين (لولا) وفعلِها لتخصيصِ التخصيص بأولِ زمانِ سماعهم وقصرُ التوبيخ على تأخير الإتيان بالمحضَّضِ عليه عن ذلك الآنَ، والتَّردد فيه ليفيدَ أنَّ عدمَ الإتيانِ به رأسًا في غايةِ ما يكونُ من القباحةِ والشَّناعةِ؛ أي: كان الواجبُ أنْ يظنَّ المؤمنونَ والمؤمناتُ أول ما سمعوه ممَّن اخترعَه بالذَّاتِ أو بالواسطةِ من غيرِ تلعثُمٍ وترددٍ بمثلِهم من آحادِ المؤمنينَ خيرًا»[٣].

---

(١) نظم الدرر (٥/ ٢٤٢).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٦/٢٦-٢٧).

(٣) إرشاد العقل السليم (٤/ ٤٤٤).

«ويقولوا: هذا إفك مبين، ولا يتكلموا به، ولا يذيعوه، فلما كان ذكر الوقت أهم؛ وجب تقديم الظرف[١]».

كما أن في قوله -تعالى: «﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾ تلوينٌ للخطاب، وصرْفٌ له عن رسول الله ﷺ وذويهِ إلى الخائضينَ بطريق الالتفاتِ لتشديد ما في لولا التحضيضية من التَّوبيخِ، ثمَّ العدول عنه إلى الغيبةِ في قوله -تعالى: ﴿ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ لتأكيدِ التَّوبيخِ والتَّشنيعِ، لكنْ لا بطريقِ الإعراضِ عنهم وحكايةِ جناياتِهم لغيرهم على وجهِ المثابة، بل بالتَّوسلِ بذلكَ إلى وصفهم بما يوجبُ الإتيانَ بالمحضض عليه، ويقتضيهِ اقتضاءً تامًّا ويزجرُهم عن ضدِّه زَجْرًا بليغًا، فإنَّ كونَ وصفِ الإيمانِ ممَّا يحملُهم على إحسان الظَّنِّ ويكفُّهم عن أساءته بأنفسِهم، أي: بأبناءِ جنسِهم النَّازلين منزلة أنفسهم»[٢].

قوله: ﴿ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ «أي: هلا ظنوا الخير؛ فإن أم المؤمنين أهله وأولى به، هذا ما يتعلق بالباطن»[٣]. أي: ما يتصل بالقلب.

هذا وقوله: «﴿بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾: وقع في مقابلة ﴿ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ﴾، فيقتضي التوزيع؛ أي: ظن كل واحد منهم بالآخرين ممن رموا بالإفك خيرًا؛ إذ لا يظن المرء بنفسه، وهذا كقوله: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾»[٤] [الحجرات: ١١]؛ «فجعل اللامز أخاه لامزًا نفسه؛ لأن المؤمنين كرجل واحد فيما يلزم بعضهم لبعض من تحسين أمره، وطلب صلاحه، ومحبته الخير»[٥].

وفائدة التصريح «بلفظ الإيمان دلالة على أن الاشتراك فيه مقتضٍ أن لا يصدق مؤمن على أخيه، ولا مؤمنة على أختها قول غائب ولا طاعن، وفيه تنبيه

---

(١) حاشية محي الدين شيخ زاده على تفسير البيضاوي (٦/ ٢٠٣).

(٢) إرشاد العقل السليم (٤/ ٤٤٤).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٦/ ٢٧).

(٤) التحرير والتنوير (١٨/ ١٧٣).

(٥) جامع البيان (٢١/ ٣٦٦).

على أن حق المؤمن إذا سمع قالة في أخيه أن يبني الأمر فيها على الظن، لا على الشك»[١].

«ثُمَّ ينظر فِي قَرائِن الأحوال وصلَاحية المقَام، فإِذَا نسب سوء إِلَى من عرف بِالخَير ظَنَّ أَنَّ ذلك إِفك وبهْتان حَتَّى يَتَّضح الْبرهان. وَفِيه تَعريضٌ بِأَنَّ ظَنَّ السَّوْءِ الَّذِي وقع هو من خصال النِفَاق التي سرت لبعض المؤمِنِين عن غرورٍ وقلَّةِ بَصارَة فكَفَى بِذَلِكَ تشنيعا له. وَهَذَا تَوْبِيخٌ عَلَى عَدَمِ إِعْمَالِهِمُ النَّظَرَ فِي تَكْذِيبِ قَوْلٍ يُنَادِي حَالُهُ بِبُهْتَانِهِ، وَعَلَى سُكُوتِهِمْ عَلَيْهِ، وَعَدَمِ إِنْكَارِهِ»[٢].

والتصريح بتوبيخ المؤمنات «هنا، مع أن كل حكم أو أمر يعم المؤمنين والمؤمنات من غير نص على المؤمنات، ولكن نص على المؤمنات هنا؛ لأن النساء كثيرًا ما يقعن في هذا النوع من الغيبة، من غير احتراس ولا تحفظ»[٣].

ولما كان الواجب «المبادرة بإنكار ما يسمعه المسلم من الطعن في المسلم بالقول، كما ينكره بالظن، وكذلك تغيير المنكر بالقلب واللسان، قال -تعالى[٤]: «﴿وَقَالُواْ﴾ أَيْ: بِأَلْسنتهم: ﴿هَـٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ أَي: كذب ظاهر على أُمِّ الْمُؤمنِين، فإِنَّ الَّذي وقع لَم يَكن ريبةً، وذلك أَنَّ مجيءَ أُمِّ المؤمنِين راكِبَةً جَهْرَة على راحلة صفْوَان بن المعطَّل في وقت الظَّهيرة، والجيش بكماله يشاهدون ذلك، ورسول الله ﷺ بيْنَ أظهرهم، لو كان هذا الأمر فيه رِيبة لم يكن هَكذا جهرة، ولَا كانا يُقدمان على مثل ذلك على رؤوس الْأَشْهادِ، بل كان يكون هذا- لو قُدر- خُفْيَةً مستورًا، فتعيَّن أَن ما جاء به أهل الْإِفْكِ مِمَّا رَموا به أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ هو الكَذبُ البحتُ، والْقَولُ الزُّور، والرّعُونة الْفَاحشَةُ الفاجرةُ، والصَّفقة الخاسرة»[٥].

(١) الكشاف (٣/ ٢٢٠).

(٢) التحرير والتنوير (١٨/ ١٧٥).

(٣) زهرة التفاسير (١٠/ ٥١٥٩).

(٤) التحرير والتنوير (١٨/ ١٧٥).

(٥) تفسير القرآن العظيم (٦/٢٧).

يقول القرطبي عند هذه الآية: ولأجل ذلك قال العلماء: "إن الآية أصل في أن درجة الإيمان التي حازها الإنسان ومنزلة الصلاح التي حلها المؤمن، ولُبْسة العفاف التي يستتر بها المسلم لا يزيلها عنه خبر محتمل وإن شاع، إذا كان أصله فاسدًا أو مجهولًا"(١).

المطلب الثاني: دلالة لولا وأثرها في سياق قوله –تعالى: ﴿لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾﴾:

أولا: علاقة الآية بما قبلها:

الآية التي بين أيدينا تعليل للآية السابقة في «بيان كذب الآفكين، بأن قال موبخًا لمن اختلقه وأذاعه ملقنًا لمن ندبه إلى ظن الخير»(٢): ﴿لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ﴾.

ثانيا: الحض على التثبت في القول:

الآية من باب الزواجر، فقوله –تعالى: ﴿لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ﴾ «من تمام القول المحضَّض عليه مسوقٌ لتوبيخِ السامعين على ترك إلزام الخائضين؛ أي: هلّا جاء الخائضون بأربعة شهداء يشهدون على ثبوت ما قالوا، ﴿فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ﴾ «الأربعة، وكان الظاهرُ فإذا لم يأتوا بهم، إلا أنه عدلٌ إلى ما في النظم الجليل لزيادة التقرير»(٣).

«فلَوْلاَ» للحض كالسابقة، والحض حض على التثبت في القول، ولا يقبله المؤمن والمؤمنة، إلا أن يكون مثل الشمس وضوحًا، وإن التثبت يكون بأربعة شهداء، فالحض على التثبت، وليس على جمع الشهود ليشهدوا، فإن ذلك لا يخلو من إشاعة للفاحشة، وقد دل الحض على أمرين:

(١) الجامع لأحكام القرآن م٦ (١٢/١٣٥).
(٢) نظم الدرر (٥/ ٢٤٣).
(٣) روح المعاني (٩/ ٣١٤).

أولهما: أنه لا يصح التكلم إلا إذا جاءوا بأربعة شهداء يشهدون، فإنه في هذه الحال يحل التكلم؛ لأنه سيقام الحد، ويشهد عليه طائفة من المؤمنين.

الأمر الثاني: أنه لا يصح المبادرة إلى الكلام، بل يُكَفُّ، ويلزم الصمت إذا لم يكن هؤلاء الأربعة من الشهداء، وإلا حق عليه الحد للافتراء، أو كما يعبر الفقهاء حد الفرية، وهو حد القذف»[١]؛ ولذا قال -تعالى: ﴿فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾.

«والتعدية بـ(على) في قوله -تعالى: ﴿لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ﴾ معناها: إثبات الإفك؛ إذ الضمير يعود عليه، وإثبات الإفك المراد موضوعه، وهو رمي المحصنة الكريمة بنت الكريم وزوج الكريم، وفي ذلك إشارة إلى أنه غير ممكن، فـ(لولا) تدل- مع التحضيض- على الاستبعاد، بل الاستحالة لمقام موضوع الافتراء»[٢].

«كما أن صيغة الحصر في قوله: ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ للمبالغة، كأن كذبهم لقوته وشناعته لا يُعدُّ غيرهم من الكاذبين كاذبًا، فكأنهم انحصرت فيهما ماهية الموصوفين بالكذب»[٣].

واسم الإشارة ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ﴾ «إشارة إلى الخائضين وما فيه من معنى البعد للإيذان بغلوهم في الفساد وبعد منزلتهم في الشر؛ أي: أولئك المفسدون»[٤].

«﴿عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾؛ أي: في حِكَمِ الله كذبة فاجرون»[٥].

ومن روائع نظم ألفاظ الآية التقيد بقوله: ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾، "ولم يقل: (فأولئك هم الكاذبون)، وهذا كله من تعظيم حرمة عرض المسلم،

---

(١) زهرة التفاسير (ص ٥١٥٨، ٥١٥٩)، باختصار.

(٢) المصدر السابق..

(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور(١٨/ ١٧٦).

(٤) إرشاد العقل السليم (٧/ ٤٤٤).

(٥) تفسير القرآن العظيم (٦/ ٢٨).

بحيث لا يجوز الإقدام على رميه من دون نصاب الشهادة والصدق»[(١)].

المطلب الثالث: دلالة "لولا" وأثرها في سياق قوله -تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ (النور: ١٤-١٥):

أولا: علاقة الآية بما قبلها:

«ولما بين لهم بإقامة الدليل على كذب الخائضين في هذا الكلام أنهم استحقوا الملام، وكان ذلك مرغبًا لأهل التقوى بين أنهم استحقوا بالتقصير في الإنكار عموم الانتقام في سياق مبشر بالعفو، فقال عاطفًا على ﴿وَلَوْلَآ﴾ الماضية: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾»[(٢)].

ثانيا: امتنان الله -تعالى- ورحمته بالمؤمنين:

الآية «عتاب من الله -تعالى- بليغ ذكر أن حالتهم التي وقع فيها جميعهم من تعاطيهم الحديث وإن لم يكن المخبِرُ ولا المخْبَرُ مصدقين، ولكن نفس التعاطي والتلقي من لسان إلى لسان، والإفاضة في الحديث هو الذي وقع العتاب فيه»[(٣)]، «والخطاب للسامعين والمستمعين جميعًا»[(٤)].

«فجملة ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ...﴾ استئنافية، مقررة لمجمل ما تقدم من عظم جرم القاذفين، وتعليق العفو عنهم برحمة الله وفضله»، فقوله: ﴿ولولا﴾ هنا "حرف امتناع لوجود"، جاء "اسمها (فضل) مصدرًا صريحًا، أما جوابها، وهو الفعل الماضي المقرون باللام في قوله: ﴿لَمَسَّكُمْ﴾، ودخول هذه اللام في جواب لولا لتأكيد ارتباط إحدى الجملتين بالأخرى»[(٥)].

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٥٦٧).

(٢) نظم الدرر (٥/ ٢٤٣).

(٣) المحرر الوجيز (٤/ ٢٠٧).

(٤) إرشاد العقل السليم (٤/ ٤٤٥).

(٥) انظر: التفصيل في إعراب آيات التنزيل (٩/ ١٧٢).

أي: "امتنع جوابها، وهو أنه يمسهم عذاب عظيم لوجود فضل الله -تعالى- ورحمته"[١].

والمعنى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ أيها الخائضون في أمر عائشة، المشِيعونَ فيها الكذب والإثم، بتركه تعجيل عقوبتكم ﴿وَرَحْمَتُهُۥ﴾ إياكم لعفوه عنكم ﴿فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ﴾ بقبول توبتكم مما كان منكم في ذلك؛ ﴿لَمَسَّكُمْ فِى مَآ﴾ خضتم فيه من أمرها عاجلا في الدنيا ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[٢].

« والإبهام في قوله ﴿فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ﴾ لتهويل أمره واستهجان بذكره"[٣].

"والإفاضة: الأخذ في الحديث، وهو الذي وقع عليه العتاب"[٤]، «يقال: أفاض في الحديث، واندفع، وهضبَ، وخاض»[٥].

قوله ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: «لاستحقاقكم ذلك بما قلتم، ولكن من فضل الله عليكم ورحمته أن شرع لكم التوبة، وجعل العقوبة مطهرة للذنوب»[٦]، «يستحقر دونه التوبيخ والجلد»[٧].

«وهذا فيمن عنده إيمان رزقه الله بسببه التوبة إليه، كمِسطح، وحسان، وحَمْنة بنت جحش أخت زينب بنت جحش، فأما من خاض فيه من المنافقين كعبد بن أُبي بن سلول وأضرابه؛ فليس أولئك مرادين في هذه الآية؛ لأنه ليس عندهم من الإيمان والعمل الصالح ما يُعادل هذا ولا ما يعارضه، وهكذا شأن ما يرد من الوعيد على فعل معين، يكون مطلقًا مشروطًا بعدم التوبة، أو ما يقابله

(١) زهرة التفاسير، ص ٥١٦١.
(٢) جامع البيان (٢١٥/١٧).
(٣) انظر:إرشاد العقل السليم (٤/ ٤٤٥).
(٤) الجامع لأحكام القرآن (١١/ ١٣٥).
(٥) الكشاف (٢١٩/٣).
(٦) تيسير الكريم الرحمن ص.٥٦٧
(٧) إرشاد العقل السليم (٤/ ٤٤٥).

من عمل صالح يوازنه أو يرجح عليه»[١].

ثم «بين الله -تعالى- وقت حلول العذاب الذي كانوا يستحقونه وزمان تعجيله، لولا الفضل والرحمة بقوله[٢]: ﴿إِذۡ تَلَقَّوۡنَهُۥ بِأَلۡسِنَتِكُمۡ وَتَقُولُونَ بِأَفۡوَاهِكُم مَّا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ﴾، أي: «لمسكم فيما أفضتم فيه من شأن عائشة عذاب عظيم حين تلقونه بألسنتكم، و﴿إِذۡ﴾ من صلة قوله: ﴿لَمَسَّكُمۡ﴾، ويعني بقوله: ﴿إِذۡ تَلَقَّوۡنَهُۥ﴾: تتلقون الإفك الذي جاءت به العصبة من أهل الإفك، فتقبلونه، ويرويه بعضكم عن بعض، يقال: تلقيتُ هذا الكلام عن فلان. بمعنى: أخذته منه، وقيل ذلك الرجل منهم فيما ذُكِر يَلقى آخر، فيقول: أَوَ ما بلغك كذا وكذا عن عائشة ليشيع عليها بذلك الفاحشة»[٣].

«وقد يرد هنا سؤال هو أن الله قال: ﴿إِذۡ تَلَقَّوۡنَهُۥ بِأَلۡسِنَتِكُمۡ﴾ التلقي معروف أنه السمع، وليس باللسان، فكيف قال الله – تبارك وتعالى: ﴿إِذۡ تَلَقَّوۡنَهُۥ بِأَلۡسِنَتِكُمۡ﴾؟ فيمكن أن يجاب على هذا بأن هذا يمكن أن يوجه بأحد أمرين:

الأول: أن هذا فيه كناية عن الإسراع في الإفشاء والنشر، فكأنه لا يقع على الأسماع، وإنما مباشرة يقع على اللسان ﴿إِذۡ تَلَقَّوۡنَهُۥ بِأَلۡسِنَتِكُمۡ﴾.

والثاني: أنه عبر عن ذلك بالغاية فهو يسمع لينقل، فصار كأنه يتلقى بلسانه لما كان الاستماع يقصد منه النشر ويفضي إليه عبر عن ذلك بما ذكره الله -عز وجل-: ﴿إِذۡ تَلَقَّوۡنَهُۥ بِأَلۡسِنَتِكُمۡ﴾ وهذا من دقة تعبير القرآن"[٤].

وقوله: ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفۡوَاهِكُم مَّا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ﴾، "أي: تقولون قولًا مختصًا بالأفواه من غير أن يكون له مصداق ومنشأ في القلوب؛ لأنه ليس تعبيرًا عن علم

(١) تفسير القرآن العظيم (٦/٢٨).

(٢) انظر: نظم الدرر (١٥/ ٢٤٤) بتصرف.

(٣) جامع البيان (١٧/ ٢١٥).

(٤) الموقع الرسمي للشيخ خالد السبت، بالشبكة العنكبوتية، تفسير سورة النور.

به في قلوبكم، فهذا كقوله -تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾[١]» [آل عمران: ١٦٧].

يقول ابن عاشور مبينًا: «وأما قوله: ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم﴾ فوجه ذكر (بأفواهكم) مع أن القول لا يكون بغير الأفواه أنه أريد التمهيد لقوله: ﴿مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ﴾؛ أي: هو قول غير موافق لما في العلم، ولكنه عن مجرد تصور؛ لأن أدلة العلم قائمة بنقيض مدلول هذا القول؛ فصار الكلام مجردَ ألفاظٍ تجري على الأفواه»[٢].

«وحمله ابن عطية على معنى المبالغة والإلزام والتأكيد»[٣].

والآية من الزجر والتأديب الأخلاقي الرفيع في أن المسلم لا يقول بلسانه إلا ما يعلمه، فيقطع بذلك دابر الشر ولا تنتشر مقالة السوء، قال -تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالا يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالًا يهوي بها في جهنم**»[٤].

ثم «زاد في توبيخهم[٥] بقوله: ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾»؛ أي: تقولون ما تقولون في شأن أم المؤمنين، وتحسبون ذلك يسيرًا سهلًا، ولو لم تكن زوجة النبي ﷺ لما كان هينًا، فكيف وهي زوجة النبي الأمي خاتم الأنبياء وسيد المرسلين، فعظيم عند الله أن يقال في زوجة رسوله ما قيل، الله يغار لهذا، وهو -سبحانه وتعالى- لا يُقَدِّر على زوجة نبي من أنبيائه ذلك، حاشا وكلا، ولما لم

---

(١) روح المعاني (٩/٣١٥).
(٢) التحرير والتنوير (١٨/ ١٧٨).
(٣) المحرر الوجيز (٤/٢٠٧).
(٤) أخرجه البخاري (١٣/١٠١).
(٥) التحرير والتنوير (١٨/ ١٧٨).

يكن ذلك فكيف يكون هذا في سيدة نساء الأنبياء، وزوجة سيد ولد آدم على الإطلاق في الدنيا والآخرة؟! ولهذا قال -تعالى: ﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾»(١).

هذا، «وإنما حسبوه هينا؛ لأنهم استخفوا الغِيبة والطعن في الناس استصحابا لما كانوا عليه في مدة الجاهلية؛ إذ لم يكن لهم وازع من الدين يزعهم؛ فلذلك هم يحذرون الناس، فلا يعتدون عليهم باليد وبالسب خشية منهم، فإذا خَلوا أَمِنُوا من ذلك، فهذا سبب حسبانهم الحديث في الإفك شيئًا هينًا، وقد جاء الإسلام بإزالة مساوئ الجاهلية، وإتمام مكارم الأخلاق. والهين: مشتق من الهوان(٢)، وهوان الشيء: عدم توقيره والمبالاة بشأنه، يقالُ: هان على فلان كذا. أي: لم يعدَّ ذلك أمرًا مهمًّا. والمعنى: شيئا هينًا»(٣).

وفي الآية «من أدب الشريعة أن احترام القوانين الشرعية يجب أن يكون سواءً في الغيبة، والحضر، والسر، والعلانية»(٤).

قوله: ﴿وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾ «أي: والحال أنه عند الله -عزَّ وجل- أمر عظيم، لا يُقادره قَدْره في الوزر واستجرار العذاب، والجملتان الفعليتان معطوفتان على جملة ﴿تلقونه﴾، داخلتان معها في حيز ﴿إذ﴾، فيكون قد علق مس العذاب العظيم بتلقي الإفك بألسنتهم والتحدث به من غير روية وفكر وحسبانهم ذلك مما لا يعبأ به، وهو عند الله -عز وجل- عظيم»(٥).

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٦/٢٨).

(٢) الهوان على وجهين: أحدهما: تذلل الإنسان في نفسه لما لم يلحق به غضاضة فيمدح به، نحو قوله: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ (الفرقان: ٦٣) والثاني: أن يكون من جهة متسلط به، فيذم به، وعلى الثاني قوله -تعالى: ﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا﴾ (النور:١٥)- المفردات في غريب القرآن ص: ٦٠٧.

(٣) التحرير والتنوير (١٨/١٧٨).

(٤) المصدر السابق.

(٥) روح المعاني(٩/ ٣١٦).

المطلب الرابع: دلالة لولا وأثرها في سياق قوله -تعالى: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ١٦ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ١٧﴾ [النور: ١٦- ١٨].

أولا: علاقة الآيات بما قبلها:

لما بين -سبحانه وتعالى- فحش حديث الإفك وقبحه وفظاعته عطف على التأديب الأول في قوله: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾[النور:١٢]، تأديبًا ثانيًا، فقال: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم﴾ [النور: ١٦][(١)].

ثانيا: الحض على ترك التكلم بخبر الإفك؛ تنزيها لله -تعالى:

قوله: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾ «عطف على جملة ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾»[(٢)] [النور: ١٢] إلخ.

والآية «تَأْدِيبٌ آخَرُ بَعْدَ الْأَوَّلِ: الْأَمْرُ بِالظَّنِّ خَيْرًا، أَيْ: إِذَا ذُكِرَ مَا لَا يَلِيقُ مِنَ الْقَوْلِ فِي شَأْنِ الْخِيَرَةِ فَأَوْلَى يَنْبَغِي الظَّنُّ بِهِمْ خَيْرًا، وَأَلَّا يُشْعِرَ نَفْسَهُ سِوَى ذَلِكَ، ثُمَّ إِنْ عَلِق بِنَفْسِهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ -وَسْوَسَةً أَوْ خَيَالًا -فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "«**إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لِأُمَّتِي عَمَّا حدَّثت بِهِ أَنْفُسَهَا مَا لَمْ تَقُلْ أَوْ تَعْمَلْ**»[(٣)]»[(٤)].

هذا، «وأُعيدت (لولا) وشرطها وجوابها؛ لزيادة الاهتمام بالجملة؛ فلذلك لم يعطف ﴿قُلْتُم﴾ الذي في هذه الجملة على ﴿قُلْتُم﴾ الذي في الجملة قبلها؛ لقصد أن يكون صريحًا في عطف الجمل»[(٥)].

(١) انظر: نظم الدرر (٥/ ٢٤٤).
(٢) التحرير والتنوير (١٨/ ١٧٩).
(٣) أخرجه البخاري (١٥٢٦٩).
(٤) تفسير القرآن العظيم (٦/ ٢٩).
(٥) التحرير والتنوير (١٧٩/١٨).

وفصل بين آلة التحضيض والقول المحضض عليه بالظرف»؛ لعلة يبينها الزمخشري بقوله: «للظرف شأن ليس لغيرها؛ لأنها لا ينفك عنها ما يقع بها؛ فلذلك اتسع فيها»[١].

وقال أيضًا: «فإن قلت: أي فائدة في تقديم الظرف حتى أوقع فاصلًا؟ قلت: الفائدة فيه بيان أنه كان الواجب عليهم أن يحترزوا أول ما سمعوا بالإفك عن التكلم به، فلما كان ذكر الوقت أهم وجب التقديم»[٢].

وبين أبو السعود أن التقديم هنا ليس من باب التوسع، فقال محررًا: «أما ما قيل من أن ظروف الأشياء منزَّلة منزلة أنفسها لوقوعها فيها، وأنها لا تنفك عنها؛ فلذلك يتسع فيها ما لا يتسع في غيرها، فهي ضابطة ربما تستعمل فيما إذا وضع الظرف موضع المظروف بأن جعل مفعولًا صريحًا لفعل مذكور، كما في قوله – تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ﴾ [الأعراف: ٦٩]، أو مقدَّر، كعامة الظروف المنصوبة بإضمار: اذكر. وأما هاهنا فلا حاجة إليها أصلًا؛ لِمَا تحققت أن مناط التقديم توجيه التحضيض إليه، وذلك يتحقق في جميع متعلقات الفعل، كما في قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ٨٦ تَرْجِعُونَهَآ﴾ [الواقعة:٨٦]»[٣].

«وضمير ﴿سَمِعْتُمُوهُ﴾ عائد إلى الإفك، مثل الضمائر المماثلة له في الآيات السابقة.

واسم الإشارة عائد إلى الإفك بما يشتمل عليه من الاختلاق الذي يتحدث به المنافقون والضعفاء، فالإشارة هو حاضر في كل مجلس من مجالس سماع الإفك»، ومعنى ﴿قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ﴾: أن يقولوا للذين أخبروهم بهذا الخبر الآفك. أي: قلتم لهم زجرًا وموعظة، وضمير ﴿لَنَآ﴾ مراد به القائلون والمخاطبون، فأما المخاطبون فلأنهم تكلموا به حين حدثوهم بخبر الإفك. والمعنى: ما يكون لكم أن

---

(١) الكشاف (٢٣١/٣).

(٢) المصدر السابق.

(٣) إرشاد العقل السليم (٤٤٥/٤).

تتكلموا بهذا. وأما المتكلمون فلتنزههم أن يجري ذلك البهتان على ألسنتهم»[١].

هذا؛ وجاءت (يكون) في هذا الموضع بمعنى (ينبغي)، يقول الزمخشري: «فإن قلت: فما معنى (يكون)؟ قلت: معناه معنى (ينبغي)، ويصح، أي: ما ينبغي لنا أن نتكلم بهذا، وما يصح لنا»[٢].

وزاد أبو السعود: «وحاصله نفي وجود التكلم به، لا نفي وجوده على وجه الصحة والاستقامة والانبغاء، وهذا إشارة إلى ما سمعوه»[٣].

ويبين ابن عاشور دقة ألفاظ القرآن بقوله: «وإنما قال: ﴿مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا﴾ دون أن يقول: ليس لنا أن نتكلم بهذا؛ للتنبيه على أن الكلام في هذا وكينونة الخوض فيه حقيق بالانتفاء، وذلك أن قولك: ما يكون لي أن أفعل -أشد في نفي الفعل عنك من قولك: ليس لي أن أفعل. ومنه قوله -تعالى- حكاية عن عيسى -عليه السلام: ﴿قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ [المائدة: ١١٦]، وهذا مسوق للتوبيخ على تناقلهم الخبر الكاذب»[٤].

قوله: ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾: جملة إنشاء وقعت معترضة بين جملة ﴿مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا﴾، وجملة ﴿هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾[٥].

«والمراد: تنزيه الله -تعالى- من أن يَصُمَّ نبيه -عليه الصلاة والسلام- ويشينه؛ فإن فجور الزوجة وصمةٌ في الزوج تنفر عنه القلوب، وتمنع عن اتباعه النفوس، ولذا صان الله -تعالى- أزواج الأنبياء -عليهم السلام- عن ذلك»[٦]، «فيكون تقريرًا لما قبله، وتمهيدًا لقوله: ﴿هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾»[٧].

---

(١) التحرير والتنوير (١٨/ ١٨٠).
(٢) الكشاف (٣/ ٢٢٠) باختصار.
(٣) إرشاد العقل السليم (٤/ ٤٤٥).
(٤) التحرير والتنوير (١٨/ ١٨٠).
(٥) المصدر السابق.
(٦) روح المعاني (٩/٣١٦).
(٧) تفسير البيضاوي (٦/ ٢٠٥).

«وتوجيه الخطاب إلى الله في قوله: ﴿سُبۡحَٰنَكَ﴾ للإشعار بأن الله غاضب على من يخوض في ذلك، فعليهم أن يتوجهوا لله بالتوبة منه لمن خاضوا فيه، وبالاحتراز[١] من المشاركة منه لمن لم يخوضوا فيه»[٢].

«ولما كان تنزيه الله -تعالى- في مثل ذلك حسن أن يوصل بذلك قوله: ﴿هَٰذَا بُهۡتَٰنٌ﴾[٣]؛ «أي: كذب فظيع متبالغ في القبح يحير من يسمعه ويدهشه»[٤]، «وحقيقة البهتان أن يقال في الإنسان ما ليس فيه»[٥].

ووصف البهتان بأنه عظيم «لعظمة المبهوت عليه، واستحالة صدقه؛ فإن حقارة الذنوب وعظمتها باعتبار مُتعلقاتها»[٦].

يقول ابن عاشور مبينًا ذلك: «وإنما كان عظيمًا؛ لأنه مشتمل على منكرات كثيرة، وهي: الكذب، وكون الكذب يطعن في سلامة العرض، وكونه يسبب إحنًا عظيمة بين المفترين والمفترى عليهم بدون عذر، وكون المفترى عليهم من خيرة الناس وانتمائهم إلى أخير الناس من أزواج، وآباء، وقرابات، وأعظم من ذلك أنه اجتراء على مقام النبي ﷺ ومقام أم المؤمنين -رضي الله عنها»[٧].

«ولما كان هذا كله وعظًا لهم، واستصلاحًا، ترجمه بقوله: ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ﴾[٨].

الوعظ: «زجر مقترن بتخويف»[٩]، قال الخليل بن أحمد: «هو التذكير

---

(١) الاحتراز هو: «أن يكون الكلام محتملا لشيء بعيد، فيؤتى بما يدفع ذلك الاحتمال»، «البرهان في علوم القرآن»، للزركشي، ص: ٦٦٢.

(٢) التحرير والتنوير (١٨/ ١٨١).

(٣) انظر: نظم الدرر (٥/ ٢٤٤).

(٤) عمدة الحفاظ (١/٢٣٦).

(٥) المحرر الوجيز (٤/٢٠٧).

(٦) إرشاد العقل السليم (٧/ ٤٤٦).

(٧) التحرير والتنوير (١٨/ ١٨١).

(٨) نظم الدرر (٥/ ٢٤٥).

(٩) المفردات في غريب القرآن (ص ٥٨٤).

بالخير فيما يرق له القلب»[١].

«والتعبير بالمضارع؛ لبيان أن ما مضى من قول فيه عظة، والله -سبحانه وتعالى- مستمر ومجدد لهم العظة بعد آن، فهو -سبحانه وتعالى- مديم تجديد الإرشاد والتنبيه إلى ما فيه طهارة جماعتكم، والبعد عن ذمها»[٢].

﴿تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا﴾؛ أي: «يذكركم الله وينهاكم بآي كتابه؛ لئلا تعودوا لمثل فعلكم الذي فعلتموه في أمر عائشة من تلقيكم الإفك الذي رُوي عليها بألسنتكم، وقولكم بأفواهكم ما ليس به علم فيها أبدًا»[٣].

«ثم عظَّم هذا الوعظ وألهب سامعه بقوله: ﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾؛ أي: متصفين بالإيمان، راسخين فيه، فإنكم لا تعودون، فإن عدتم فأنتم غير صادقين في دعواكم الاتصاف به»[٤].

«وفيه تهييج لهم ليتعظوا، وتذكير بما يوجب ترك العود، وهو اتصافهم بالإيمان»[٥].

﴿وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۚ﴾؛ «أي: يوضح لكم الأحكام الشرعية والحِكم القدرية»[٦].

«وإظهار الاسم الجليل في موقع الإضمار؛ لتفخيم شأن البيان، ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بأحوال جميع مخلوقاته، جلائلها ودقائقها. ﴿حَكِيمٌ﴾ في جميع تدابيره وأفعاله، فأنَّى يمكن صدق ما قيل في حق حرمة من اصطفاه لرسالاته، وبعثه إلى كافة الخلق؛ ليرشدهم إلى الحق، ويزكيهم، ويطهرهم تطهيرًا.

---

(١) العين للخليل (٢/ ٢٢٨).

(٢) زهرة التفاسير (ص ٥١٦٢).

(٣) جامع البيان (١٧/ ٢١٨).

(٤) نظم الدرر (٥/ ٢٤٥).

(٥) الكشاف (٣/ ٢٢١).

(٦) تفسير القرآن العظيم (٦/ ٢٩).

وإظهار اسم الجليل هاهنا لتأكيد استقلال الاعتراض التذييلي، والإشعار بعلة الألوهية للعلم والحكمة»(١).

المطلب الخامس: دلالة «لولا» في قوله -تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٢٠﴾ (النور: ٢٠):

أولا: علاقة الآية بما قبلها:

«لما حذر الله المؤمنين من العود إلى مثل ما خاضوا به من الإفك على جميع أزمنة المستقبل أعقب تحذيرهم بالوعيد على ما عسى أن يصدر منهم في المستقبل بالوعيد على محبة شيوع الفاحشة في المؤمنين»(٢)، «مكررا التذكير بالمنة بترك المعاجلة»(٣) بالعذاب، فقال -سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝١٩ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٢٠﴾ [النور: ١٩- ٢٠].

ثانيا: التحذير من إشاعة الفاحشة والتذكير بامتنان فضل الله عليهم:

يقول الفخر الرازي: «لا شك أن ظاهر قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ﴾ يفيد العموم، وأنه يتناول كل من كان بهذه الصفة، ولا شك أن هذه الآية نزلت في قذف عائشة، إلا أن العبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب، فوجب إجراؤها على ظاهرها في العموم، ومما يدل على أنه لا يجوز تخصيصها بقذف عائشة قوله تعالى: ﴿فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، فإنه صيغة جمع، ولو أراد عائشة وحدها لم يجُز ذلك»(٤).

هذا، وجملة ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ ...﴾ استئناف، مقرر لما قبله(٥).

---

(١) إرشاد العقل السليم (٤/ ٤٤٦).

(٢) التحرير والتنوير (١٨/ ١٨٥).

(٣) نظم الدرر، البقاعي (١٥/٢٤٦ – ٢٤٧).

(٤) مفاتيح الغيب (٢٣/١٨٣).

(٥) التفصيل في إعراب آيات التنزيل (١٨/ ١٧٩).

«واسم الموصول - الذين- يعم كل من يتصف بمضمون الصلة؛ فيعم المؤمنين، والمنافقين، والمشركين، فهو تحذير للمؤمنين، وإخبار عن المنافقين والمشركين»[١].

﴿يُحِبُّونَ﴾؛ أي: يريدون، ويقصدون[٢].

«وجعل الوعيد على المحبة لشيوع الفاحشة في المؤمنين، تنبيهًا على أن محبة ذلك تستحق العقوبة؛ لأن محبة ذلك دالة على خبث النية نحو المؤمنين، ومن شأن ذلك الطوية أن لا يلبث صاحبها إلا يسيرًا حتى يصدر عنه ما هو محب له، أو يُسَر بصدور ذلك من غيره ... وجيء بصيغة الفعل المضارع للدلالة على الاستمرار، فالوعيد هنا على محبة وقوع ذلك في المستقبل، كما هو مقتضى قوله: ﴿أَن تَشِيعَ﴾؛ لأن (أن) تخلص المضارع للمستقبل، وأما المحبة الماضية فقد عفا الله عنها بقوله: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾﴾»[٣].

ومعنى: ﴿أَن تَشِيعَ﴾: تنتشر[٤]، ﴿ٱلْفَـٰحِشَةُ﴾: «ما عظم قبحه من الأفعال والأقوال»[٥].

﴿فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾؛ «أي: موجع للقلب والبدن؛ وذلك لغشه لإخوانه المسلمين، ومحبة الشر لهم وجراءته على أعراضهم، فإذا كان هذا الوعيد لمجرد محبة أن تشيع الفاحشة، واستحلاء ذلك بالقلب، فكيف بما هو أعظم من ذلك، من إظهاره، ونقله؟ وسواء كانت الفاحشة، صادرة أو غير صادرة»[٦].

---

(١) التحرير والتنوير (٥/٢٤٥).

(٢) روح المعاني (٩/٣١٨).

(٣) التحرير والتنوير (١٨/١٨٤) باختصار.

(٤) روح المعاني (٩/٣١٨).

(٥) المفردات في غريب القرآن (ص:٥٩٧).

(٦) تيسير الكريم الرحمن، ص٥٦٨.

﴿فِي الدُّنْيَا﴾: من الحد وغيره مما يتفق من البلايا الدنيوية[١].

﴿وَالْآخِرَةِ﴾: جهنم، إن مات مصرًّا على ذلك غير تائب[٢].

«وكل هذا من رحمة الله بعباده المؤمنين، وصيانة أعراضهم، كما صان دماءهم وأموالهم، وأمرهم بما يقتضي المصافاة، وأن يحب أحدهم لأخيه ما يحب لنفسه، ويكره له ما يكره لنفسه»[٣].

هذا، «ولشيوع أخبار الفواحش بين المؤمنين بالصدق أو بالكذب مفسدة أخلاقية؛ فإن مما يزع الناس عن المفاسد تهيبهم وقوعها وتجهمهم وكراهتهم سوء سمعتها، وذلك مما يصرف تفكيرهم عن تذكرها، بله الإقدام عليها رويدًا رويدًا، حتى تنسى وتنمحي صورها من النفوس، فإذا انتشر بين الأمة الحديث بوقوع شيء من الفواحش تذكرتها الخواطر، وخف وقع خبرها على الأسماع، فدب بذلك إلى النفوس التهاون بوقوعها وخفة وقعها على الأسماع، فلا تلبث النفوس الخبيثة أن تقدم على اقترافها، وبمقدار تكرر وقوعها وتكرر الحديث عنها تصير متداولة؛ ولهذا دل هذا الأدب الجليل بقوله»[٤]: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾ «جميع الأمور التي من جملتها ما في الضمائر من المحبة المذكورة، وكذا وجه الحكمة في تغليظ الوعيد، ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ما يعلمه -سبحانه وتعالى، والجملة اعتراض تذييلي، جيء به تقريرًا لثبوت العذاب لهم، وتعليلًا له»[٥].

«ولما ختم بالحكم عليهم بالجهل، وكان التقدير كما أرشد إليه ما يأتي من العطف على غير معطوف: فلولا فضل الله عليكم ورحمته بكم لعجل هلاك المحبين لشيوع ذلك بعذاب الدنيا؛ ليكون موصولا بعذاب الآخرة عطف عليه قوله مكررًا التذكير

(١) إرشاد العقل السليم (٤/٤٤٧).

(٢) جامع البيان (١٧/ ٢٢٠).

(٣) تيسير الكريم الرحمن، ص:٥٦٨.

(٤) التحرير والتنوير (١٨/ ١٨٥) باختصار.

(٥) روح المعاني (٩/٣١٨).

بالمنة بترك المعاجلة حاذفا الجواب، منبها بالتكرير والحذف على قوة المبالغة وشدة التهويل"[١] بقوله: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (النور: ٢٠).

"وهذه ثالثة مرة كرر فيها: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾ في سورة النور وحذف في الأول[٢] والثالث جواب (لولا) لتذهب النفس كل مذهب ممكن في تقديره بحسب المقام"[٣]؛ وذلك "لقصد تهويل مضمونه؛ فيدل تهويله على تفخيم مضمون الشرط الذي كان سببا في امتناع حصوله"[٤].

والتقدير: ولولا أن الله تفضل عليكم -أيها الناس- ورحمكم، وأن الله ذو رأفة ورحمة بخلقه؛ لهلكتم فيما أفضتم فيه وعاجلتكم من الله العقوبة"[٥].

هذا، وقد ذكر في المرة الأولى وصف الله بأنه تواب حكيمٌ للمناسبة المتقدمة[٦]، وهي الأحكام العظيمة المشتملةِ على التفضل من الله والرحمة منه، والمؤذنَةُ بِأَنَّه توابٌ على من تابَ مِن عباده، والمنبئةُ بكمال حكمتِهِ -تعَالى؛ إذْ وضَعَ الشِّدَّةَ موضِعَها والرِّفقَ موضِعَهُ، وكَفَّ بعضَ النّاسِ عنْ بعْضٍ، فَلَمَّا دخَلَتْ تلك الأحكامُ تحت كُلِّي هذهِ الصفاتِ كان ذِكْرُ الصِّفاتِ تَذييلًا، وفي ذكر وصف (الحكيم) هُنا مع وصف (تواب) إشارة إلى أنَّ في هذه التوبة حِكمةً وهي استصلاح النَّاس[٧]".

"وذكر هنا بأنَّهُ رؤوف رحيم؛ لأنّ هذا التنبيه الذي تضمنه التذييل فيه

(١) نظم الدرر (٥/٢٤٤).

(٢) قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ۝١٠﴾ (النور: ١٠)

(٣) التحرير والتنوير (١٨/١٨٥).

(٤) المصدر السابق (١٨/١٦٩).

(٥) جامع البيان (١٧/٢٢١).

(٦) التحرير والتنوير (١٨/١٨٦).

(٧) المصدر السابق، ص ١٦٩ باختصار.

انتشال للأمة من اضطراب عظيم في أخلاقها وآدابها، وانفصام عرى وحدتها؛ فأنقذها من ذلك رأفة، ورحمة لآحادها وجماعتها، وحفظًا لأوَاصِرِها.

وذكر وصف الرأفة والرحمة هنا؛ لأنه قد تقدمه إنقاذُهُ إياهم من سوء محبة أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا تلك المحبة التي انطوت عليها ضمائرُ المنافقين كان إنقاذ المؤمنين من التَّخلُّق بها رأفةً بِهم من العذاب ورحمةً لهم بثواب المتاب"(١).

كما "أن في التَّعقيب بالرؤوف الرَّحيم بدل التواب الحكيم هنالك ما يُؤذنُ بأنَّ الذّنبَ في هذا أعظمُ، وكأنَّهُ لا يَرتفعُ إلا بمحضِ رأفته -تعالى، وهو أعظمُ من أن يرتفعَ بالتَّوبة"(٢).

"وإظهار الاسم الجليل لتربية المهابة والإشعار باستتباع صفة الألوهية للرأفة والرحمة وتَغيير سَبكِهِ وتَصديرُهُ بحرف التحقيق لما أن بيان اتصافه -تعالى- في ذاته بالرأفة التي هي كمال الرَّحمة، والرَّحيميّةِ التي هي المبالغةُ فيها على الدوام والاستمرار، لا بيان حُدُوثِ تعلُّقِ رأفتهِ ورحمتِهِ بهم، كما أنّه المراد بالمعطوفِ عليه"(٣)(٤).

"وهذه الآية هي منتهى الآيات العشر التي نزلت في أصحاب الإفك على عائشة -رضي الله عنها، نزلت مُتتابعَةً على النبي ﷺ وتَلاها حين نزولها في بيته"(٥).

---

(١) التحرير والتنوير (١٨٦/١٨).

(٢) روح المعاني (٩/ ٣١٩).

(٣) قوله: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ عطف على ﴿فَضْلُ ٱللَّهِ﴾، انظر: إرشاد العقل السليم (٤٤٧/٤).

(٤) المرجع السابق، الصفحة نفسها

(٥) التحرير والتنوير (١٨٦/١٨).

الخاتمة

أولا: النتائج:

١- آيات الإفك شغلت حيزًا من سورة «النور» على مدى عشر آيات، بدءًا من الآية الحادية عشر، وقد اشتملت على عدد من الزواجر والآداب وفق نسيج المناسبات والاعتبارات البلاغية، كبقية آيات السورة، كلحمة مُحكمة في نظم الكلام، يعجز عن الإتيان بمثله جميع البشر.

٢- آيات الإفك مناسبة لمحور السورة الذي يدور حول التربية الأخلاقية للفرد والمجتمع.

٣- وردت (لولا) في آيات الإفك العشر خمس مرات، وجاءت بوجهين:

الأول: دلالة التحضيض، وقد جاءت بهذا المعنى في ثلاثة مواضع:

- قوله -تعالى: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾﴾.

- وقوله -تعالى: ﴿لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾﴾.

- وقوله -تعالى: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾﴾.

الثاني: دلالة الامتناع، وقد جاءت بهذا المعنى في موضعين هما:

- قوله -تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾﴾.

- وقوله -تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾.

٤- أبرزت دلالات (لولا) في آيات الإفك منهجًا إسلاميًا راقيًا لمواجهة الشائعات حيث تضمنت عددًا من الزواجر والآداب والتي منها:

- ينبغي على المؤمنين والمؤمنات أن يظنوا ببعضهم خيرًا، كما يجب عليهم إذا سمعوا رجلًا يقذف أحدًا لا يعرفونه به أن يسارعوا بالإنكار عليه، ويكذبوه: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾﴾.

- توبيخ أهل الإفك على تقصيرهم في الإثبات، حيث قال -تعالى: ﴿لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾﴾.

- ينبغي على المرء ألا يقول بلسانه إلا ما يعلمه ويتحققه، قال -تعالى: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾﴾.

٥- تكرر الامتنان من الله -تعالى- بترك المعاجلة بالعذاب على عباده في آيات الإفك مرتين: في قوله -تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾﴾، وقوله: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾.

ثانيا: التوصيات:

أوجه النظر إلى أهمية تكثيف دراسة حروف المعاني، وتذوق مواقعها في النظم القرآني، والنظر في دلالتها التي تنوعت حسب سياقاتها؛ لإبراز جماليات النظم القرآن، ففي ذلك بيان غزير، وسيبقى القرآن الكريم الكتاب المعجز الذي لا تنقضي عجائبه ودرره.

فهرس المصادر والمراجع

١) **أحكام القرآن**، لأبي بكر بن العربي المالكي، ت: محمد عبد القادر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ٣، ٢٠٠٣م.

٢) **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، لأبي السعود محمد العمادي الحنفي، ت: عبد اللطيف عبدالرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣) **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، لمحمد الأمين المختار الشنقيطي، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م.

٤) **التحرير والتنوير**، لمحمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.

٥) **التسهيل لعلوم التنزيل**، لأبي القاسم محمد بن أحمد، ابن جزي الكلبي، ت: د.عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ١٤١٦هـ.

٦) **تفسير البحر المحيط**، لأبي حيان الأندلسي، ت: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، وغيره، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢ هـ، ٢٠٠١م.

٧) **التفسير البسيط**، لأبي الحسن الواحدي، ت: د.عبد الله الريس، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، سلسلة الرسائل الجامعية، الرياض، ١٤٣٠هـ.

٨) **تفسير القرآن العظيم**، لابن كثير، ت: سامي السلامة، دار طيبة، الرياض، ١٩٩٧م.

٩) **تفسير القرآن العظيم**، لمحمد بن صالح العثيمين، دار الثريا، الرياض، ٢٠٠٤م.

١٠)**تفسير المراغي**، لمصطفى المراغي، مطبعة مصطفى البابي، القاهرة، ١٩٤٦م.

١١)**التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، لوهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق، ط: ١٠، ٢٠٠٩م.

١٢)**تفسير حدائق الروح والريحان في رواية علوم القرآن**، للهرري الشافعي،

إشراف ومراجعة: د. هاشم محمد مهدي، دار طوق النجاة، بيروت، د. ت.

١٣)**التفصيل في إعراب آيات التنزيل**، د. عبد اللطيف الخطيب، مكتبة الخطيب، الكويت، ٢٠١٥م.

١٤)**تيسير الكريم الرحمن في تفسير الكلام المنان**، لعبد الرحمن السعدي، ت: عبد الرحمن بن معلا، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠م.

١٥)**جامع البيان في تأويل آي القرآن**، للإمام الطبري، ت: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، الرياض، ٢٠٠١م.

١٦)**الجامع لأحكام القرآن**، للقرطبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣ هـ-١٩٩٣م.

١٧)**الجنى الداني في حروف المعاني**، لبدر الدين المرادي، ت: فخر الدين قباوة، محمد نديم، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢.

١٨)**حاشية محيي الدين شيخ زادة على تفسير القاضي البيضاوي**، ت: محمد عبد القادر، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٩)**الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، للسمين الحلبي، ت: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.

٢٠)**روح البيان**، لإسماعيل حقي، دار الفكر، بيروت، د.ت.

٢١)**روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، للآلوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: ٤، ١٩٨٥م.

٢٢)**عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ**، أبو العباس، شهاب الدين، المعروف بالسمين الحلبي، ت: محمد باسل، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦م.

٢٣)**فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، لابن حجر العسقلاني، ت: عبد العزيز بن باز، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦م.

٢٤)**فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، للشوكاني،

ت: د.عبدالرحمن عميرة، دار الوفاء، المنصورة، ١٩٩٤م.

٢٥) **الفروق اللغوية**، لأبي هلال الحسن العسكري، ت: محمد إبراهيم، دار العلم والثقافة، القاهرة.

٢٦) **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، للزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط: ٣، ١٤٠٧ هـ.

٢٧) **محاسن التأويل**، لمحمد جمال الدين القاسمي، ت:محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ.

٢٨) **المحرر الوجيز**، لابن عطية الأندلسي، ت: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٩٩٣م.

٢٩) **معالم التنزيل**، للبغوي، ت: خالد العك، ومروان سوار، دار المعرفة، بيروت، د. ت.

٣٠) **معجم مقاييس اللغة**، لابن فارس، ت: عبد السلام هارون، دار الفكر، القاهرة، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.

٣١) **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، لمحمد العبد الله بن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام، تحقيق: د. مازن المبارك، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٥م.

٣٢) **مفاتيح الغيب**، للإمام محمد الرازي فخر الدين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: ٣.

٣٣) **المفردات في غريب القرآن**، للراغب الأصفهاني، دار ابن الجوزي، القاهرة، ٢٠١٢م.

٣٤) **موقع فضيلة الشيخ خالد السبت على الشبكة العنكبوتية.**
https://khaledslsabt.com

٣٥) **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، لبرهان الدين البقاعي، ت:عبدالرزاق المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت.